بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام التامين الأبديين على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين وبعد ...

فعن نعم الله تعالى علينا نحن المسلمين أن أكرمنا بكتاب جليل كريم لا يبلى عطاؤه ولا تنقضي بركته، لا يزال المسلمون يتلمسون أنوار الهدى وإشعاعات المعرفة منه، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولعل المختصين في المجال الديني يفقهون ويدركون مسألة مهمة وهي أن المسلمين يعيشون في هذا العصر مرحلة صعبة ودقيقة جدا إذ يرون أن الهوة قد اتسعت بين النصوص الشرعية وواقع الأمة الإسلامية، لذلك نجد الكثير من الدعاة يطالبون بتجديد الفكر الإسلامي وأساليبه، ومحاولة إعادة سيطرة الدين على مناحي الحياة بتفصيلاتها الكثيرة، ويدور الحديث الآن وبكثرة عن الدور المقاصدي بكافة فروعه: العقدي والتشريعي والتثقيفي، إذ يراد من ذلك تكوين حركة اجتهادية معاصرة، تنفض غبار الأمس لتعود جذوة الإسلام تتوقد من جديد، ولا سيما أن عجزاً ما اصاب آلة الاجتهاد الفقهي والفكري عن التفاعل الإيجابي مع قضايا ومتطلبات العصر المتنوعة.

فمسألة إعمال الفكر المقاصدي أو النظر المقاصدي أصبح الأن أكثر من أي وقت مضى مطلباً استراتيجياً ملحاً في الحركة الاجتهادية المعاصرة، فحجم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية حاضراً ومستقبلاً تجعل الإسلاميين تحت مهمة شاقة وصعبة وهي مهمة إحياء علوم الدين.

لا يفوتنا هنا أن نذكر أن فهم المصالح العليا في النصوص الشرعية، أو ما نسميه اليوم بالمقاصد قد جرى للصحابة ﷺ فكانوا أول المجمعين بأن الشرع كله صلاح وفلاح، ولا سيما أنهم كانوا مشاهدين لنزول الوحي وتوجيه الأحكام وكيفية تطبيقها.

لذلك يقول ابن القيم: وقد كانت الصحابة أفهم الأمة لمراد نبيها وأتبع له، وإنما كانوا يدندنون حول معرفة مراده و مقصده ... .

العدد ٦٠

٤ جمادي الأول ١٤٤١هـ

٣٠ كانون الأول ٢٠١٩م

من هنا وددت أن أشارك ولو ببحث صغير عن المقاصد القرآنية وكيفية توظيفها في المجال العقدي، وكنت قد كتبت بحثا عن المقاصد ودورها في توجيه آيات الصفات واليوم أبحث في مقاصد النبوات.

وأود الإشارة هنا بأن هذا البحث جزء من متطلبات التفرغ العلمي.

سبب اختيار الموضوع:

مجاراة للتطور الحاصل في علم المقاصد، ومحاولة تسخير هذا العلم لخدمة كتاب الله العظيم، ومحاولة إخراج النصوص من الإيمان القلبي فقط الى الإيمان العملي التطبيقي الذي يظهر على الجوارح، لذا رأيت أن نحاول توظيف المقاصد في المباحث العقدية أسوة بأختها المباحث الشرعية، لأن البحث فيها قليل و نادر.

وقد واجهتني بعض الصعوبات منها إن هذا الموضوع لم يبحث بالشكل الكافي عند الباحثين فمسألة إعمال الفكر المقاصدي أو التفسير المقاصدي في مجال العقيدة لايزال قاصراً و فقيراً.

منهجي في البحث:

١- المنهج العام للبحث هو المنهج الوصفي، ومحاولة إظهار أقوال المفسرين المقاصديين وإيجازها في كل آية محل البحث. من غير إطالة ولا بحث في أمور أخرى.

٢- وقد اكتفيت بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة فقط دون ذكر بطاقة الكتاب كاملا خشية إثقال الهوامش، وذكرت المعلومات كاملة في قائمة المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسات سابقة تتكلم عن المقاصد القرآنية في مباحث العقيدة تحديداً، وكل ما وجدته هو مقالات وأبحاث وكتب تتكلم عن المقاصد القرآنية بشكل عام فيها التوجيهات والغايات التشريعية أكثر من غيرها.

ومنها

١- الفكر المقاصدي وقواعده وفوائده، د. أحمد الريسوني.

٢- المدخل المقاصدي في بناء العلم الجامع، د.محمد رفيع، موقع منار الإسلام .

٣- النظر المقاصدي وأولياته، د. محمد رفيع، الشبكة الإسلامية.

٤- مقاصد القرآن وثمرتها، د. يوسف الخديمري، باحث دراسات إسلامية، المغرب_ مجلة الوعي الإسلامي، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، الكويت ٢٠١٨/٩/١٤.

٥- التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم (في ظلال القرآن انموذجاً) ورقة بحثية مقدمة الى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية_ قسطنطينية للمؤتمر الدولي (فهم القرآن بين النص والواقع) كلية أصول الدين، ٤_٥/١٢/ ٢٠١٣، د. وصفي عاشور أبو زيد.

وكانت خطه البحث قائمة على .....

مقدمة:

المبحث الأول: حول مصطلحات البحث: وفيه مطالب:

المطلب الأول : المقاصد القرآنية.

المطلب الثاني: المقصود بآيات النبوات

المبحث الثاني: المقاصد القرآنية والتفسير. وفيه مطالب:

المطلب الأول: علاقة المقاصد القرآنية بالتفسير.

المطلب الثاني: المباحث العقدية والمقاصد القرآنية.

المبحث الثالث: نماذج من آيات النبوات والتفسير المقاصدي لها.

العدد ٦٠

٤ جمادي الأول ١٤٤١هـ

٣٠ كانون الأول ٢٠١٩م

المبحث الأول:

حول مصطلحات البحث

المطلب الأول : المقاصد القرآنية.

بما أن مصطلح (المقاصد القرآنية) متكون من مصطلحين وجب علينا تعريف كل مصطلح على حده ثم تعريفهما مضافين الى بعضهما.

المقاصد لغة:

القصد في اللغة ورد لعدة معان:

١- استقامة الطريق، فالمستقيم قاصد.

٢- والقصد في المعيشة: ألاّ يسرف ولا يقتر، وعدم مجاوزة الحد.

٣- والاستواء : يقال: قصد فلان في مشيه: إذا مشى سوياً.[١]

٤- الحج: قال ابن فارس: وكل قصد حج[٢]. وكذلك: إصابة الهدف، يقال: سهم صائب أي: قاصد. وكذلك: الأمّ.[٣]

قال ابن فارس: القاف والصاد والدال: أصول ثلاثة يدل أحدها على إتيان الشيء وأَمِّه، والآخر على اكتناز في الشيء.[٤]

وجاء في معانيه: القرب، فالقاصد هو القريب.[٥]

قال ابن جني: أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام، والتوجه، والنهود، والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة، وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل".[٦]

قد يأتي بمعنى الكسر، تقول: قصدت العودَ قصداً: كسرته.[٧]

و يأتي بمعنى طلب الصواب، أو التماس الأحرى.[٨]

القصد اصطلاحاً:

عُرف بتعاريف مختلفة:

قال أبو البقاء: لفظة القصد لا تطلق إلاّ في الإرادة الحادثة والمشيئة في الأصل.[٩]

وقال الفقهاء: "المقصود بفتح الميم: اسم مفعول من قصد إليه: توجّه، والمقصود الغاية التي يريدها المتصرف، ومقصود الشرع غايته".[١٠]

و عرّفها آخرون: " هي ما تغيّاه الشارع من وضع أحكام الشريعة الإسلامية لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل".

قال علال الفاسي: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من احكامها".(١١)

و أختار البعض كونها: الحكمة الموضوعة ويعبّر عنها بالمصلحة ، وقد يعبر عنها بنفي الضرر وقطعه.(١٢)

أو هي: الغاية والهدف من أحكام الشارع، و تصرفات المكلفين.(١٣)

اذن فالمقاصد في معناها الاصطلاحي لا تخرج عن معانيها اللغوية بل تدور في فلكها وتنتقل بينها آخذه من كل معنى جزءً من مفهومها.

العدد
٦٠

٤
جمادي الأول
١٤٤١هـ

٣٠
كانون الأول
٢٠١٩م

تعريف القرآن:

القرآن لغة:

مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ[١٤]﴾ ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

ولفظة مهموز، وإن حذفت همزته فمن باب التخفيف.[١٥]

القرآن اصطلاحاً:

هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺالمكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة المبدوء بالفاتحة والمنتهى بسورة الناس"[١٦] وهذا هو المتعارف عليه والمتفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية.

ومن الجدير بالذكر أن مقاصد سور القرآن الكريم هي نوع من أنواع التفسير المقاصدي الخاص يبحث في أهداف وغايات السورة الواحدة مع الكشف عن وجه الإفادة منها لتحقيق مصلحة العباد في العاجل والآجل".[١٧]

لذلك فإنه يمكن لنا تعريف المقاصد القرآنية بأنها: " الأهداف والغايات التي يحملها النص القرآني في كل سورة أو آية غرضها تحقيق مصلحة العباد في الدنيا والآخرة".[١٨]

وقد يعَّبر عنها بألفاظ أخرى مثل: مغزى السورة، أو غرض السورة، أو الوحدة الموضوعية أو نحو ذلك.

وهنا لا بد من الإشارة الى أن مصطلح المقاصد القرآنية لم يعرّفه القدماء على الرغم من استعمالهم له.

فقد ذكره العز بن عبد السلام في كتابه القواعد اكثر من مرة، فقال: "ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها، فلا نسبة بمصالح الدنيا ومفاسدها الى مصالح الآخرة ومفاسدها...".[١٩]

وكذلك المعاصرون: فقد ذكرها ابن عاشور في تفسيره في مواطن عديدة[٢٠]، والشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره.[٢١]

العدد ٦٠

٤ جمادي الأول ١٤٤١هـ

٣٠ كانون الأول ٢٠١٩م

المطلب الثاني:

المقصود بآيات النبوات

وهي تلك الآيات التي تتعلق بالنبوات والرسالات مثل: حاجة العقل الإنساني الى هدي النبوة، النبوة منحة إلهية غير مكتسبة، الفرق بين النبي والرسول، صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وغيرها من هذه المباحث.

المبحث الثاني:

المقاصد القرآنية والتفسير.

المطلب الأول: علاقة المقاصد القرآنية بالتفسير.

لعل سائل يسأل: النص القرآني له تفسير، فما هو الفرق بين التفسير ومعرفة المقصد القرآني؟

للإجابة على هذا السؤال ينبغي لنا الوقوف على مكانة التفسير المقاصدي وبالتالي حاجة التفسير إليه، فأقول:

بعد بحثي واطلاعي علي مؤلفات المقاصد خرّجت بالمحصلة الآتية، أجملها:

١- أن التفسير المقاصدي (المعتمد على معرفة المقاصد القرآنية) يعد أوثق طريق للوصول الى معرفة المعنى المراد من الآية، ولاسيما الآيات المتعارضة في ظواهرها، إذ يمكن بالرجوع الى المقصد القرآني في الآية الوقوف على المعنى المراد من جملة معاني محتملة فالتفسير المقاصدي له دور كبير في بيان الراجح من المرجوح.

٢- يجب ان يضاف اتقان التفسير المقاصدي الى الشروط التي يجب أن تتوافر في المفسر، فلا يمكن له تدبر القرآن وفهمه بمعزل عن فهم مقاصده وغاياته وحكمه، كما يكون كأداة تعين المفسر وتمكنّه من إستنباط أحكام القرآن وتعاليمه.

٣- لابد للمشتغل بعلم الكلام والعقيدة أن يتسلح بالتفسير والفهم المقاصدي لآيات القرآن الكريم فهذا الفهم المنضبط يعينه في الرد على الفرق الضالة والتيارات المنحرفة غير المنضبطة بضوابط التفسير فيتمكن من ردّهم وإلزامهم الحجة العقدية منطلقاً من فهم مقاصدي سليم وصائب.

٤- الفهم المقاصدي او التفسير المقاصدي يظهر جواهر القرآن ودرره غير الظاهرة ويستخرج منها مكنوناتها من المصالح والمنافع العائدة على المكلفين والتي يكون اكتشافها عَسيراً على فهم العامة.

فدعوة التدبر لا تقتصر على مجرد التلاوة الظاهرة او معرفة الأحكام المحكمة الواضحة المنصوصة . بل تتعداها الى الغوص في معرفة حكمه وأسراره وأغراضه ومصالح المكلفين قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.(٢٢)

قال الإمام الغزالي: "التدبر في قراءته إعادة النظر في الآية والتفهم أن يستوضح من كل آية ما يليق بها كي تتكشف له من الأسرار معان مكنونة لا تتكشف إلا للموفقين".(٢٣)

وقال الشاطبي: "فأعلم إن الله تعالى إذا نفى الفقه او العلم عن قوم فذلك لوقوفهم مع ظاهر الأمر وعدم اعتبارهم للمراد منه، وإذا أثبت ذلك فهو لفهمهم مراد الله من خطابه، وهو باطنه".(٢٤)

ومما يجعل هذا الأمر لزاماً على المفسر أن العلماء حذروا من أن أحد أسباب الإنحراف في تفسير القرآن وتأويله: الجهل بمقاصده، وأن ما ابتدعه المشبهة والمعطلة في تأويل آيات الصفات يرجع سببه الى ذلك.(٢٥)

قال الشاطبي: "فمن فهم مراد الله تعالى من كلامه لم يتجرأ عليه بالتحايل تبديلاً وتغييراً، وكذلك من وقف مع مجرد الظاهر غير ملتفت الى المقاصد، فإنه يكون قد قصر في فهم مراد الله تعالى، وكذا ما ابتدعه المشبهة والمعطلة، في آيات الصفات، يعود الى هذا الخلل في فهم مقاصد القرآن ومراد الله من خطابه".(٢٦)

ولا يفوتنا التذكير بأن إعمال المقصدية في تأويل القرآن تعصم القارئ من انتاج تأويلات تصطدم مع المقاصد الربانية.(٢٧)

المطلب الثاني: المباحث العقدية والمقاصد القرآنية.

ذكرت قريباً من هذا قلة الكتب والمؤلفات في هذا المجال (العقدي) قياساً الى الكثرة في التأليف في المقاصد الشرعية:

قال د. احمد الريسوني للباحثين طالباً منهم بذل الجهد في هذا المجال: " ... أما مجال العقائد (علم التوحيد وعلم الكلام) فقد خلا تقريبا من النظر المقاصدي...".(٢٨)

وهنا يمكننا أن نجمل الأسباب في هذه القلة:

١- الانفصال بين العقيدة والواقع: لم يعد هناك اتصال بين المظهر والسلوك الانساني في المجتمعات الإسلامية وبين العقيدة، فنجد المظاهر التطبيقية في معزل تام عن مبادئ العقيدة وأسسها إلاّ النزر اليسير.

ولا نكون مبالغين أذا قلنا: إن حقائق العقيدة اقتصرت على تصديقات ذهنية أو قلبية ضيقة، مما أدى الى التشكيك في قدرة العقيدة على حل بعض القضايا الطارئة على الأمة.

ولا أتردد في القول -أسفة- أنه ما عاد الحكم بالإلتزام الظاهري لشخص ما دليلاً على حسن إيمانه وإخلاصه، فكثير من المتدينين ظاهراً هم بالحقيقة اكثر الناس بعداً عن الاخلاص، بل أكثرهم ارتكاباً للمخالفات الشرعية.

٢- غياب مبحث الإنسان في الفكر العقدي، إذ ظل الفكر العقدي الكلامي في العصور الأولى مغيباً لفاعلية الإنسان ودوره في الحياة العملية والكونية وأقتصر على محاكمته عقدياً من الآجل أو العاجل.(٢٩)

فإذا اتفقنا على أن مقاصد القرآن هي الحكم والاسرار المودعة في نصوصه وأحكامه، وأنها صيغت بألفاظ وأساليب متنوعه حكيمة لتحقيق الغاية والمقصود منها يرشدنا في ذلك التدبر والتفكر، فبمقدار معرفة تلك المقاصد يقاس وصول الإنسان الى إدراك الغايات الكبرى من الخلق والوجود، ويستطيع بعدها الاضطلاع بمهمة الإعمار والإصلاح في سبيل تحقيق التمكين الموعود به في الأرض لتتحقق بذلك غاية الشهادة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.(٣١)(٣٠)﴾

العدد ٦٠

٤ جمادي الأول ١٤٤١هـ

٣٠ كانون الأول ٢٠١٩م

على أن بعض العلماء اهتموا بهذه المسألة وحاولوا الوقوف على استخراج المقاصد العقدية وتفاوتت أنظارهم وافهامهم في عرض مسالكها بين متساهل الى حد الشطط ومتشدد الى حد الجمود والركود، معتذرين بأن المقاصد العقدية ليست كأختها الشرعية فالأخيرة يمكن الاجتهاد فيها لأنها متغيرة ومتجددة بينما العقدية محدودة ومنضبطة.

ومن بين الاتجاهين السابقين خرج اتجاه ثالث من العلماء الراسخين

خلصوا الى إمكانية استخلاص هذه المقاصد من نصوص الشرع القرآن والسنة، دون اغفال الألفاظ والمباني ومقتضياتها اللغوية والدلالية، مع استحضار وازع الورع والتقوى والترقى في مقاميهما مما أوصد الباب أمام أصحاب الاتجاهين السابقين الذين فوتوا على أنفسهم وعلى غيرهم خيرات عظيمة ومصالح كثيرة.[٣٢]

ومن اشهر هؤلاء العلماء الذين اهتموا بالمقاصد في تفاسيرهم:

١- الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز.

٢- البقاعي في كتابيه: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

٣- السيوطي: معترك الاقران في إعجاز القرآن.

اما الاهتمام الأبرز فكان من المعاصرين:

١- الطاهر بن عاشور: في التحرير والتنوير

٢- سيد قطب: في ظلال القرآن.

٣- سعيد حوى : الأساس في التفسير.

٤- محمد رشيد رضا: في تفسيره المنار.

٥- محمد صديق خان القنوجي: فتح البيان في مقاصد القرآن.

٦- محمد عزت دروزة: التفسير الحديث.

وأخيرا نؤكد على أن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يعد هو المنهج الأسلم. الذي يجعل كلام الله تعالى منتظماً على نحو يتضح فيه جلياً كمال نظمه واتساق آياته، ويبرز إعجازه وبلاغته.

العدد ٦٠

٤ جمادي الأول ١٤٤١هـ

٣٠ كانون الأول ٢٠١٩م

قال البقاعي: "ومن حقق المقصود من السورة عرف تناسب آياتها وقصصها وجميع أجزائها".(٣٣)

المبحث الثالث:

نماذج من آيات النبوات والتفسير المقاصدي لها

أكثر ما يميز التفسير المقاصدي هو البيان الواضح والصريح دون الدخول في متاهات المتكلمين ومناظراتهم الفلسفية وصراعاتهم الفكرية والتي كثيراً ما تضيع المعنى الذي يبحث عنه القارئ البسيط أو حتى طالب العلم. لأنه للوصول الى الحكم العقدي لمسألة ما أو الوصول الى الرأي الراجح في موضوع يجب في الدراسات المقارنة الاتيان بجميع الأدلة والحجج لكلا الطرفين أو الأطراف المتنازعة ثم الموازنة بين هذه الأدلة وهذا قد يستغرق وقتاً وجهداً ويتطلب فهما عميقاً ودقيقاً لمحل النزاع وتحرير المسائل ومن ثم تقرير الرأي الراجح.

أما في حالة الاعتماد على التفسير المقاصدي الذي هو مدار بحثنا فكل ما نحتاجه هو قراءة الآية وفهم معناها ثم التوجه نحو التفسير المقاصدي الذي يعطينا الرأي الراجح دون المرور بالسلسة المعقدة من الشروح والموازنات.

وهذا ما سنراه واضحاً جليا في تفسير الآيات المختارة من مباحث النبوات، عندها اعتمدنا فقط على التفسير المقاصدي من التفاسير التي اعتمدته ولم تطل في البحث والتحري.

العدد ٦٠

٤ جمادي الأول ١٤٤١هـ

٣٠ كانون الأول ٢٠١٩م

المسألة الأولى

الفرق بين النبي والرسول

تعد مسألة الفرق بين كلمتي (النبي والرسول) من صميم مباحث النبوة، وقد تكلمت فيها الفرق الاسلامية وكبار المتكلمين فمنهم من ذهب الى انهما لفظان مترادفان، وليس بينهما فرق سوى اللفظ.(٣٤)

وآخرون ذهبوا الى إقرار الفرق بينهما وأن العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي، وليس العكس.(٣٥)

ومذهب الجمهور أن النبي أعم من الرسول وهذا هو الصحيح وعليه الاتفاق، وقد احتج المتكلمون بأدلة نقلية وعقلية لبيان الفرق، أما عند التفاسير التي تعني بالمقاصد فلا نجد هذه الاستدلالات ولا هذا الخوض وإنما الكلام مباشر والتقرير صريح بإثبات الفرق بينهما، على ما سنبينه في هذا المطلب.

من خلال استقرائي للآيات التي وردت لفظتا النبي والرسول فيها سواء كانت بصيغة الإفراد أم الجمع، لفت انتباهي أمران:

الأول: أن لفظة (التبليغ)(٣٦) ومشتقاتها لم ترد مع لفظة النبي أو الأنبياء في القرآن الكريم مطلقاً، وإنما وردت فقط مع الرسول والرسل والمرسلين.

وهذا فيه دلالة على انه أمر التبليغ خاص فقط بالرسل لأنهم مبعوثون بشرع جديد، أما الأنبياء فإن شريعتهم مبلغة سلفاً الى الناس وهم مأمورون بالاستمرار في تطبيقها ونشرها بين الناس والعمل بمقتضى ما جاءت به دون الأمر بتبليغات جديدة.

الثاني: أن لفظة (الطاعة)(٣٧) والمشتقات منها لم ترد مع لفظة النبي أو الأنبياء في آيات القرآن الكريم وإنما وردت فقط مع الرسول والرسل والمرسلين.

وعليه فالأمر بالطاعة من الله تعالى مخاطباً به العباد المرسل إليهم الرسول يناسب الأمر بالتبليغ للرسول المرسل، فلما كان الرسول معه شريعة جديدة وجب عليه تبليغها للمرسل إليهم، وجبت عليهم طاعة هذا الرسول فيما بلغهم إياه، وهذا ليس معناه أنه لا أمر بطاعة النبي وإنما معناه إن طاعته أمر مفروغ منه، ولا يستوجب أمراً إلهياً جديداً بالطاعة والانصياع قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ.(٣٨)﴾

قال الطاهر ابن عاشور: معنى الرسالة إبلاغ ما أنزل الى من يراد علمه به، وعلى جميع الوجوه المتقدمة دلت الآية على أن الرسول مأمور بتبليغ ما أنزل إليه كله.(٣٩)

وقال في موضع آخر: "عطف نبي على رسول دالٌ على أن النبي معني غير الرسول".(٤٠)

قال القنوه جي: (من رسول ولا نبي): "من زائدة لتأكيد النفي، وفيه دليل بيّن على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي ".(٤١)

وبهذا يتضح التغاير بين المفهومين دون الرجوع الى مقالات المتكلمين لثبوت هذه الفروق بينهما.

العدد
٦٠

٤
جمادي الأول
١٤٤١هـ

٣٠
كانون الأول
٢٠١٩م

المسألة الثانية:

نبوة النساء.

تعد مسألة نبوة النساء، من مسائل مباحث النبوات، وقد اختلفت فيها أقوال العلماء بين مثبت وناف:

قال الشهرستاني: "... فإن طائفة ذهبت الى ابطال كون النبوة في النساء جملة وبدّعت من قال ذلك، وذهبت طائفة، الى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة، وذهبت طائفة الى التوقف في ذلك".(٤٢)

قال ابن حجر: "وقد نقل الإجماع على عدم نبوة النساء كذا قال، وقد نقل عن الأشعري أن من النساء من نبئ وهن ست حواء و سارة و أم موسى و هاجر وأسية ومريم ...".(٤٣)

وأما مَنْ أنكر النبوة فليس له حجة في آية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ(٤٤)﴾، إذ المنكر الرسالة في حق النساء وليس النبوة.(٤٥)

و ذهب الجمهور الى عدم جواز نبوة النساء.(٤٦)

ولذلك فإننا في التفاسير المقاصدية أو التفاسير التي تراعي المقاصد القرآنية لا نجد ذلك السرد الطويل للمسألة وتحرير محل النزاع والدخول في متاهات المتكلمين فهي تعطيك المقصد العقدي المستند الى هذه الأدلة لكن بدون سردها وإعادتها فقط تعطي الحكم النهائي للآية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ.(٤٧)﴾

فهي سنة الله إذن في أن يرسل رجالاً من البشر.(٤٨)

وقد كانت بعثة الأنبياء من الرجال دون النساء أمراً معروفاً عند العرب وقال الحسن: لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء.(٤٩)

أما من البدو: فلأن أهل البادية يغلب عليهم الجفاء والقسوة وغلظة القلب، وأهل المدينة أتم عقلاً وأكمل حلماً وأحسن علماً.

ولا من الجن: لاختلاف الطبيعة وعدم المماثلة.

ولا من النساء : لأن المرأة مستضعفة عند الرجال دون العكس، ولأن النفوس تأبى قيادة المرأة في الغالب.(٥٠)

العدد ٦٠

٤ جمادي الأول ١٤٤١هـ

٣٠ كانون الأول ٢٠١٩م

المسألة الثالثة:

بشرية الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

من تمام الحكم الإلهية أن بعث الله تعالى الى البشر رسلاً منهم، يفقهون كلامهم، ويعيشون معهم بالمدن كما يألمون، ويأكلون ويشربون ويتزوجون حتى لا يكون للناس على الله تعالى حجة بعد إرساله الرسل، من النفس البشرية، غير التي تناسل منها الناس جميعاً، فالأنبياء والرسل إخوة للبشر كونهم من نفس الأم والأب لهم نفس الأحاسيس والمشاعر والجوارح.

وقد تحدثت آيات قرآنية كريمة عن مسألة بشرية الأنبياء والرسل وبيّنت أن الكفار والمنافقين يشككون في نبوتهم ورسالتهم كونهم من البشر، وفي الوقت نفسه لو كان الأنبياء والرسل ملائكة لما حموا أنفسهم من التشكيك والاتهامات وغيرها.

وهذه المسألة من مسائل مباحث النبوات، ونجد التفاسير اكثرت الكلام فيها والاستدلال عليها في صفحات طويلة، لكن التفاسير المقاصدية كانت تؤدي المطلوب بأقصر عبارة وأيسر تعبير.[٥١]

العدد
٦٠

٤
جمادي الأول
١٤٤١هـ

٣٠
كانون الأول
٢٠١٩م

وسنتناول طائفة كريمة من الآيات التي فيها إشارة الى هذه المسألة:

١- قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ.[٥٢]﴾

قال ابن عاشور: المعنى: أن المماثلة في البشرية لا تقتضي المماثلة في زائد عليها فالبشر كلهم عباد الله والله يمن على مَنْ يشاء من عباده بنعم لم يعطيها غيره.[٥٣]

ومعناه: اننا مثلكم في الصورة والهيأة كما قلتم لا ننكر ذلك، ولكن الله يمن ويتفضل على من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة، وفيه دليل على ان ابو النبوة أمر وهبي لا كسبي كما يزعمه الفلاسفة والحكماء.[٥٤]

٢- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ.[٥٥]﴾

معناه: إني آدمي مثلكم حالي مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية ومن كان هكذا فهو لا يدّعي الإحاطة بكلمات الله إلاّ أنه امتاز عنهم بالوحي إليه من الله سبحانه.[٥٦]

٣- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا.[٥٧]﴾

وهنا يورد القرآن العلة الأصلية التي تبعث على الجحود في جميع الأمم وهي توهمهم استحالة أن يبعث الله للناس برسالة بشراً مثلهم.[٥٨]

وهذا الاعتقاد الشامل لهم هو الذي منعهم عن الإيمان بالكتاب وبالرسول، وعبر عنه بالقول للإشعار بأنه ليس إلاّ مجرد قول قالوه بأفواههم، ثم أمر الله سبحانه رسوله بأن يجيب عن شبهتهم وفيه إعلام من الله سبحانه بأن الرسل ينبغي أن يكونوا من جنس المرسل إليهم.[٥٩]

الخاتمة:

بعد حمد الله تعالى وشكره على توفيقه في إكمال البحث، يطيب لي أن أُجمل ما توصلت إليه من نتائج:

١- وجوب الاتجاه الى التفسير المقاصدي لآيات العقائد كونها تمثل السبيل الأقصر والأيسر لطالب العلم القارئ البسيط.

٢- يجب على العاملين في مجالي العقيدة وعلم الكلام الاتجاه الى إعمال الفكر المقاصدي في علومهم ومحاولة تخليص هذه العلوم مما علق بها من فلسفات كانت أحيانا لا تخدم المسألة العقدية بقدر ما تربك الفهم وتشككه.

٣- التفسير المقاصدي لآيات العقيدة هو السبيل الأمثل للطلاب المبتدئين من غير ذوي التخصص الدقيق، فهو يفهمهم المسألة العقدية بشكل بسيط وسلس.

٤- يجب أن يضاف التفسير المقاصدي الى أنواع التفسير ويجب الاهتمام به من قبل الباحثين بشكل أكبر، وأن يجري على أيدي علماء من لهم ملكة الكشف عن المقصد القرآني، وألا يكون هذا مدعاة أو باب ينفتح لكل من هب ودب في الكلام و التأليف فيه.

العدد
٦٠

٤
جمادي الأول
١٤٤١هـ

٣٠
كانون الأول
٢٠١٩م

الهوامش

[1] العين ٥/ ٥٤، تهذيب اللغة: ٨/ ٢٧٤ و ٢٧٦ ، و تاج العروس: ٩ /٣٦.

[2] جمهرة اللغة: ١٢٥٧/٣، و مقاييس اللغة: ٢/ ٢٩.

[3] الأضداد لابن الأنباري: ١٢٤، والعين: ١٤٣٠/٨، ١٦٦/٧، وجمهرة اللغة: ٥٩/١، وتهذيب اللغة: ١٥/ ٤٥٩.

[4] مقاييس اللغة: ٥/ ٩٥.

[5] القاموس المحيط: ٣١٠/١.

[6] تاج العروس :٩/ ٣٧ .

[7] تاج عروس: ٩/ ٣٧، وأساس البلاغة: ٣٦٧، ومعجم متن اللغة: ٥٧٥/٤.

[8] طلبة الطلبة: ٩٠.

[9] الكليات: ٧٥، ١٥٨.

[10] معجم لغة الفقهاء: ٤٥٤.

[11] مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها، علال الفاسي: ٧.

[12] ينظر: الاجتهاد المقاصدي، د. نور الدين الخادمي: ٤٨/١_ ٥١.

[13] المدخل الى مقاصد الشريعة: ٢١.

[14] سورة القيامة : ١٧-١٨.

[15] ينظر: مناهل العرفان: ١٤/١ .

[16] المحرر في علوم القرآن: ٢٢، ومناهل العرفان : ١٤/١ وما بعدها، ومباحث في علوم القرآن ، لصبحي الصالح : ٢١.

[17] التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم، د. وصفي عاشور : ١٤.

[18] ينظر: المدخل الى مقاصد القرآن: ٣١ .

[19] قواعد الاحكام في مصالح الأنام: ٨/١، ١٨٩/٢ وغيرها .

[20] ينظر: التحرير والتنوير : ٣٨/١ و٤١، ٤٢، ٦٨، ١٢١، وفي تفسيره لسورة الفاتحة ١٤٩/١، وسورة البقرة آية ٢١٣/١ وغيرها.

[21] ينظر: تفسير المنار: ١٧/١، و٨٤ في تفسيره لسورة الفاتحة وأية ٢٤ من سورة البقرة: ١٨٢/١، وآية ٧٩ منها ٢٩٩/١، وغيرها من المواضع، ١١/ ٢٠٦ وما بعدها .

[22] سورة ص الآية: ٢٩.

[23] إحياء علوم الدين: ٢٨٢/١.

[24] الموافقات للشاطبي: ٢١٤/٤.

[25] الموافقات: ٣٩٠/٣، والاعتصام: ٢٤/٢.

[26] نقلاً عن المدخل في مقاصد القرآن: ١٠١.

[٢٧] النص القرآني ومشكلة التأويل: ص٢٥.

[٢٨] البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره، د. احمد الريسوني: ١٩.

[٢٩] المقاصد العقدية في القصص القرآني، د. الزايدي طويل: ٧٠.

[٣٠] سورة البقرة: ١٤٣.

[٣١] المصدر نفسه: ٧٥.

[٣٢] ينظر المقاصد العقدية، د. الزايدي طويل:٣٦.

[٣٣] مصاعد النظر: ١٤٩/١.

[٣٤] قال التفتازاني: كلاهما واحد. شرح المقاصد: ١٧٣/٢، الطبعة الباكستانية.

[٣٥] ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: ١٥٥/١، ولوامع الأنوار البهية: ٤٩/١، شرح المقاصد: ٥/٥، و٦، و٥٠، واصول الدين للبغدادي: ١٥٣.

[٣٦] بلغت الآيات التي ورد فيها لفظ التبليغ أو البلاغ مع لفظة الرسل أو الرسول: ٢٥ آية. في حين لم يقترن التبليغ أو البلاغ مع لفظة النبي والأنبياء.

[٣٧] بلغت الآيات التي وردت فيها لفظة الطاعة وما في معناها مع لفظة الرسول والرسل: ٤٤ آية.

[٣٨] سورة الحج الآية: ٥٢.

[٣٩] التحرير والتنوير: ٦/ ٢٠٨_ ٢٦٠، و ١٩٣/٨، ٣١/٧.

[٤٠] نفسه ١٧/ ٢٩٧، و ينظر: تفسير المنار:

[٤١] فتح البيان في مقاصد القرآن: ٦٦/٩، وينظر: الأساس في التفسير: ٣٥٩٦/٧.

[٤٢] الفصل في الملل والاهواء والنحل: ١٢/٥.

[٤٣] فتح الباري ٤٤٧/٦.

[٤٤] سورة يوسف : ١٠٩

[٤٥] نفسه :٦/ ٤٤٧.

[٤٦] ينظر: قصص الانبياء لابن كثير: ٨/٢، وروح المعاني: ٣٨٦/٧، و١٤٧/١٤، ولوامع الانوار البهية: ٢٦٦/٢، الرسل والرسالات: ٨٦، وينظر: البداية من الكفاية: ٨٧، والمسامرة بشرح المسايرة:٢٢٦، وتهذيب شرح السنوسية: ٩٨، والأساس في التفسير: ٧٧٦/٢، و١٤٦٥/٣.

[٤٧] سورة النحل: ٤٣.

[٤٨] ينظر: الأساس في التفسير: ٢٩٤٢/٦، وفتح البيان:٢٤٦/٧، والتحرير والتنوير:١٦١/١٤.

[٤٩] فتح البيان: ٤١٦/٦، والتحرير والتنوير : ٨٤/١١ و٦٧/١٣.

[٥٠] التحرير والتنوير :٦٧/١٣.

[٥١] ينظر: العقيده الإسلامية، للميداني: ٣٩٢.

[٥٢] سورة ابراهيم :١١.

[٥٣] التحرير والتنوير: ٢٠١/١٣.

[٥٤] فتح البيان: ٩٣/٧.

[٥٥] سورة الكهف: ١١٠.

[٥٦] فتح البيان:١٢٧/٨.

[٥٧] الإسراء: ٩٤

[٥٨] التحرير والتنوير: ٢١١/١٥.

[٥٩] فتح البيان: ٤٥٦/٧.

العدد
٦٠

٤
جمادي الأول
١٤٤١هـ

٣٠
كانون الأول
٢٠١٩م

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الاجتهاد المقاصدي، نور الدين الخادمي، كتاب الأمة، (١٤١٩ هـ).

٢- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م).

٣- الأساس في التفسير، سعيد حوى (ت١٤٠٩هـ)، دار السلام ، القاهرة ، ط٦، ١٤٢٤هـ.

٤- أصول الدين، الاستاذ أبي منصور عبد القاهر التميمي البغدادي، (ت ٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، (١٤٠١هـ_ ١٩٨١ م)، بيروت_ لبنان.

٥- الأضداد، لابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت٣٢٨هـ)، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت_ لبنان، (١٩٨٧هـ).

٦- البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره ومستقبله، احمد الريسوني، بحث مقدم لدوه مقاصد الشريعة، نظمتها مؤسسة الفرقان للدراسات الاسلامية ، لندن (٢٠٠٥هـ).

٧- البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، للشيخ نور الدين الصابوني، حققه وقدم له: فتح الله خليف، دار المعارف- مصر، ١٩٦٩م.

٨- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ابو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، (١٢٠٥م)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٩- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر ، تونس، (١٩٨٤م).

١٠- تفسير القران الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١١- التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم (في ظلال القران انموذجاً)، ورقة بحثية مقدمة الى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسطنطينية، للمؤتمر الدولي (فهم القرآن بين النص والواقع) كليه اصول الدين، د. وصفي عاشور ابو زيد ، (٢٠١٣هـ).

١٢- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، (ت ٣٧٠ هـ)، تح: محمد عوض مرعب، جدار إحياء التراث العربي ، (٢٠٠١م)، بيروت.

١٣- تهذيب شرح السنوسية (أم البراهين)، سعيد عبد اللطيف فودة، دار الرازي، ط٢، (١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٤م)، الأردن، عمان.

١٤- جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بلعبكي، دار العلم للملايين، (١٩٨٧)، بيروت.

١٥- الرسل والرسالات، عمر بن سليمان عبدالله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت ، ط٤، (١٤١٠هـ_ ١٩٨٩م).

١٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠ هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت .

١٧- شرح العقيدة الطحاوية : لصدر الدين محمد بن علاء الدين بن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، عبدالله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٨- شرح المنظومة الجزائرية في العقائد، للشيخ أحمد بن تركي المالكي الأزهري (ت ٩٧٩هـ)، تح: محمود عبد الصادق الحساني، ط١، (١٤٣٨هـ_ ٢٠١٧م)، دار الضياء_ الكويت.

١٩- شرح جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم اللقاني، المسماة تحفة المريد للشيخ ابراهيم البيجوري، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، (١٤٠٣هـ_ ١٩٨٣م).

٢٠- طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية، عمر بن محمد بن احمد بن اسماعيل ابو حفص، نجم الدين النسفي، (ت ٥٣٧ هـ)، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى، بغداد ، (١٣١١هـ).

٢١- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .
٢٢- فتح البيان في مقاصد القرآن ، ابو الطيب محمد صديق خان القنوجي، (ت١٣٠٧هـ)، قدم له: عبد الله بن ابراهيم الأنصاري المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا_ بيروت ، (١٤١٢هـ_ ١٩٩٢م).
٢٣- القاموس المحيط ، مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).
٢٤- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ابو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ)، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ط(١٤١٤ هـ_ ١٩٩١م).
٢٥- الكليات لابي البقاء الكفوي الحنفي (ت١.٩٤ هـ)،تح: عدنان درويش_ محمد المصري، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٢٦- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٢٧- مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط ٢٤، (٢٠٠٠م).
٢٨- المحرر في علوم القرآن ، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، معهد الامام الشاطبي، ط٢، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
٢٩- المدخل الى مقاصد القرآن ، د. عبدالكريم حامدي، مكتبة الرشد، السعودية ، الرياض، ط١، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).
٣٠- المسامرة بشرح المسايرة للشيخ كمال، الشيخ المعروف بابن أبي شريف القدسي، (ت ٩٠٦هـ)، مع شرحين جليلين، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

٣١- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ابراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي، (ت ٨٨٥هـ)، مكتبه المعارف_ الرياض، ط١، (١٤٠٨ هـ_ ١٩٨٧م).

٣٢- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي- حامد صادقا قنيبي، دار النفائس للطباعه والنشر، ط٢، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٣٣- معجم متن اللغة، احمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت،(١٣٧٧ هـ/ ١٣٨٠ هـ).

٣٤- مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها، علال الفاسي، نشر مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء .

٣٥- المقاصد العقدية في القصص القرآني (قضايا ونماذج و أبعاد ودلالات)، د. الزايدي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ٢٠١١ م.

٣٦- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر، (١٤١٦هـ_ ١٩٩٦م)، لبنان.